تفسير ابن كثير

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم { قتل الإنسان ما أكفره } قال الضحاك عن ابن عباس { قتل الإنسان } لعن الإنسان وكذا قال أبو مالك : وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم قال ابن جريج { ما أكفره } أي ما أشد كفره وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرا أي ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة { ما أكفره } ما ألعنه ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى : { من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره } أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد { ثم السبيل يسره } قال العوفي عن ابن عباس : ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي واختاره ابن جرير وقال مجاهد : هذه كقوله تعالى : { إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا } أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح وا أعلم وقوله تعالى : { ثم أماته فأقبره } أي أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أي جعله ذا قبر والعرب تقول : قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه وأقبره ا وعضبت قرن الثور وأعضبه ا وبترت ذنب البعير وأبتره ا وطردت عني فلانا وأطرده ا أي جعله طريدا قال الأعشى : .

(لو أسندت ميتا إلى صدرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر) .

وقوله تعالى : { ثم إذا شاء أنشره } أي بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور { ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون } { وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما } وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه قيل : وما هو يا رسول ا ؟ قال : مثل حبة خردل منه تنشؤون] وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه [كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب] .

وقوله تعالى : { كلا لما يقض ما أمره } قال ابن جرير : يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق ا عليه في نفسه وماله { لما يقض ما أمره } يقول : لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه D ثم روى هو و ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى : { كلا لما يقض ما أمره } قال : لا يقضي أحدا أبدا كل ما

افترض عليه وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا والذي يقع لي في معنى ذلك وا أعلم أن المعنى { ثم إذا شاء أنشره } أي بعثه { كلا لما يقض ما أمره } أي لا يفعله الان حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب ا أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فإذا تناهى ذلك عند ا أنشر ا الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فإن القبور هي بطن الأرض وإن الأرض هي أم الخلق فإذا خلق ا ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد ا لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها وهذا شبيه بما قلناه من معنى الاية وا سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقوله تعالى : { فلينظر الإنسان إلى طعامه } فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا { أنا صببنا الماء صبا } أي أنزلناه من السماء على الأرض { ثم شققنا الأرض شقا } أي أسكناه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض { فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا } فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا وقال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وقال الحسن البصري : القضب العلف { وزيتونا } وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به { ونخلا } يؤكل بلحا وبسرا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل { وحدائق غلبا } أي بساتين قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام وقال ابن عباس ومجاهد : كل ما التف واجتمع وقال ابن عباس أيضا : غلبا الشجر الذي يستظل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { وحدائق غلبا } أي طوال وقال عكرمة : غلبا أي غلاظ الأوساط وفي رواية غلاظ الرقاب ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل : وا إنه لأغلب رواه ابن أبي حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق : .

(عوى فأثأر أغلب ضيغميا ... فويل ابن المراغة ما استثار) .

وقوله تعالى : { وفاكهة وأبا } أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس : الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس وفي رواية عنه : هو الحشيش للبهائم .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك : الأب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم وعن عطاء : كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب وقال الضحاك : كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب .

وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله

الدواب ولا يأكله الناس ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال : حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا : حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال : عد ابن عباس وقال : الأب ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبي كريب وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام وقال العوفي عن ابن عباس : الأب الكلأ والمرعى وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر الصديق Bه عن قوله تعالى : { وفاكهة وأبا } فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب ا ما لا أعلم وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق Bه فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب Bه { عبس وتولى } فلما أتى على هذه الاية { وفاكهة وأبا } قال : قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ فقال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف فهو إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الاية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله : { فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا } وقوله تعالى : { متاعا لكم ولأنعامكم } أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة